

المقدمة

"كاتب جلبي" الشهير بـ "حاجي خليفة" (1017 - 1067 هـ / 1609 م - 1656 م) هو أحد أشهر العلماء العثمانيين، كانت كتاباته هي السمة البارزة في دنيا العلم والفكر والثقافة في القرن السابع عشر. فهو مؤرخ وجغرافي، وببليوجرافي، وصاحب فكر إصلاح في النواحي السياسية والاجتماعية، والدينية أيضًا.

لقي حاجي خليفة شهرة واسعة في الدولة العثمانية، وفي أوروبا، وشهرته في العالم العربي ما تزال مستمرة إلى يومنا هذا، فقد كتب مؤلفاته باللغتين العربية والتركية القديمة "العثمانية"، وترجمت إلى العديد من اللغات الأوروبية.

ولعل شهرته كببليوجرافي في العالم العربي جاءت من كتابه "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون" الذي كتبه بالعربية كموسوعة ببليوجرافية للكتب والرسائل والمخطوطات في المكتبات، التي زارها في أنحاء ولايات الدولة العثمانية.

أما شهرته كجغرافي، فقد اكتسبها من كتابه "جهاننما" الذي اعتبره دارسو "كاتب جلبي" بداية عهد جديد في الفكر الجغرافي العثماني؛ بل إنه قد ترجم إلى الكثير من اللغات الأوروبية؛ حيث صار مرجعًا أساسيًا للحالة الأوروبية في رحلاتهم إلى آسيا الوسطى، وفتح الباب أمام شريحة عريضة من المثقفين الأتراك لوضع مؤلفات جديدة في الجغرافيا، وكان كتاب "جهاننما" بمثابة طوق النجاة من ضيق الأفق الفكري في المجال الجغرافي.

و"كاتب جلبي" المؤرخ كان أكثر غزارة، وتنوعًا في إنتاجه الذي كتبه باللغتين العربية والتركية، وما ترجمه أيضًا من كتب التاريخ الأوروبي من اللغة اللاتينية بمساعدة راهب فرنسي أعلن إسلامه، وتسمى بـ "شيخ محمد الإخلاصي"، وله كتاب "فذلكة أقوال الأخيار في علم التاريخ والأخبار"، وهو باللغة العربية، ويسمى أيضًا "فذلكة التواريخ"، أو "فذلكة"، وللكتاب تكملة أو ذيل له بالتركية يحمل أيضًا اسم "فذلكة"، وفي فن التراجم له أيضًا موسوعة كبيرة بالعربية هي "سلم الوصول إلى طبقات الفحول".

وهو أيضا كمؤرخ، شاهد عيان لكثير من الأحداث التي عاصرها، والحملات التي شارك فيها مصاحبا للجيش وكتب عنها.

أما كتابه "تحفة الكبار في أسفار البحار" الذي يصنف ضمن كتب التاريخ، فبعض مؤرخي أدبيات العلوم يصنفونه أيضًا ضمن كتب الجغرافيا؛ كدليل بري وبحري، وكذلك ضمن كتب الفكر الإصلاحي لما تضمنه من وصايا عقب وصف كل حملة حربية، وأيضًا في نهاية الكتاب. ويرز دور حاجي خليفة كصاحب فكر إصلاحي في النواحي السياسية، والاجتماعية والدينية، في كتابين آخرين له؛ هما: "دستور العمل في إصلاح الخلل"، و"ميزان الحق في اختيار الأحق" ونشر القراء أننا انتهينا من ترجمته وهو في سبيله إلى الطباعة قريبًا إن شاء الله. فكتاب "دستور العمل" هو رسالة كتبها متبنيًا نظريات ابن خلدون في التاريخ وصيرورة الدول، ووضع الكتاب ليستفيد منه وزراء الدولة بعدما عقد اجتماع في الديوان الهمايوني لبحث كيفية مواجهة الأزمة المالية وعجز ميزانية الدولة، وغيرها من المشكلات التي شخصها حاجي خليفة، وبيّن أسبابها وجذورها، وبيّن كيفية علاجها. وخاتمة أعمال "كاتب جلبي" هو كتاب "ميزان الحق" الذي يمكننا اعتبار بعض فصوله ضمن "فلسفة التاريخ"، وفصوله الأخرى وضعها المؤلف منتهجًا طريق الوسطية والاعتدال ليقدم القول الفصل في بعض القضايا الخلافية التاريخية، والعقائدية، والاجتماعية، والإدارية، والسياسية أيضًا.

لم ينس "كاتب جلبي" الأدب، ولم يهمل الأشعار والأمثال والحكم؛ بل وضع في ذلك كتابًا هو "تحفة الأخيار في الحكم والأمثال والأشعار"؛ ليضيف إلى ميزاته ككاتب عمل موسوعي آخر، ويليه كتاب "جامع المتون من جل الفنون".

وبخلاف ما ذكرناه من كتب في المجالات الأساسية التي برز فيها واشتهر "حاجي خليفة"، أو "كاتب جلبي"، هناك العديد من المؤلفات في التاريخ الجغرافيا، والبيولوجيا، والفكر، كذلك في القانون، وعلم الهيئة "الفلك"، والتفسير، والفقه، والجبر، والمقابلة.

بعضها لم يكمله، وبعضها فُقد، والبعض الآخر وصل إلينا، ومنتشر في مكتبات المخطوطات في استانبول، ينتظر جهود الباحثين لتحقيقه.

والكتاب الذي بين يدي القارئ الآن "تحفة الكبار في أسفار البحار" ألفه حاجي خليفة باللغة التركية عقب الإخفاقات المتوالية التي مُني بها الأسطول العثماني في حملة كريت، التي بدأت سنة 1055 هـ/ 1646 م، وما بعدها من حملات، وكانت هذه الإخفاقات ذات الأسباب الكثيرة، لها أثر سلبي انعكس على جميع المؤسسات العثمانية، وقد عايش المؤلف هذه المعاناة، فأراد أن يشارك في الإصلاح، ويرفع الروح المعنوية، فوضع ذلك الكتاب الذي تناول بعضًا من أمجاد التاريخ البحري العثماني وانتصاراته، ومحللًا لأسباب إخفاقات ذلك الأسطول في الوقت الحاضر، ومبينًا التدابير الواجبة لاتخاذها في علاج هذا الخلل، ومواجهة التدهور الحاصل في الأسطول العثماني، واستفاض في تقديم معلومات جغرافية وملاحية، وتاريخية، وبحرية. وختم كتابه بفصل هو نصائح للبحارة والمهتمين بشئون البحر.

قسم المؤلف كتابه "تحفة الكبار" إلى مقدمة، وجزئين، وخاتمة. في المقدمة ساق معلومات حول جغرافية الممالك الأوروبية المحيطة بالدولة العثمانية وسواحلها، وغيرها من الواقعة على سواحل البحر الأبيض المتوسط، وبعضًا من تاريخ هذه الدول؛ لاسيما بلاد الأرناؤوط، وإيطاليا، وفرنسا، وأسبانيا.

والجزء الأول من الكتاب قسمه بدوره إلى تسعة أقسام، تناول فيها تاريخ الحملات البحرية العثمانية، وانتصاراتها، وقادتها، وربابنتها وبطولاتهم؛ وصولًا إلى حملة كريت ومشكلاتها.

ثم الجزء الثاني من الكتاب، والذي قسم أيضًا إلى سبعة أقسام تناول فيها: أحوال الأشخاص الآخرين في الترسانة والجنود المقيدون بحكم الرابنة وأنواعهم، خروج الأسطول إلى البحر للحملة وفقًا للنظم والقوانين، ثم يعرف المعركة البحرية وفق القوانين، وقسم عن أنواع سفن الأسطول المختلفة ورجاله، وسادس الأقسام حول المستلزمات الضرورية لإنشاء الأسطول، والنفقات اللازمة لإنشائه ثم يختم الكتاب بأربعين نصيحة للبحارة، تليها "كلمة أخيرة".

صدر الكتاب في طبعته الأولى سنة 1141 هـ / 1729 م باللغة العثمانية في مطبعة إبراهيم متفرقة" أولى المطابع الرسمية العثمانية، وكان ثاني كتاب يطبع فيها. ثم كانت طبعته

الثانية باللغة العثمانية - أيضًا - سنة 1329هـ / 1913م في المطبعة البحرية باستانبول.
كما ترجم الكتاب إلى الإنجليزية، والفرنسية، والعديد من اللغات الأوروبية.
والحمد لله الذي وفقنا إلى تقديم أول ترجمة وطبعة له باللغة العربية؛ لنضيف إلى
المكتبة العربية مصدرًا أساسيًا ومهمًا من مصادر التاريخ والحضارة العثمانية التي هي
جزء أساسي من تراثنا وتاريخنا، ومكوّن أساسي من مكونات واقعنا المعاصر.
ولا يفوتني في النهاية أن أتقدم بجزيل الشكر لابني البار وتلميذي النجيب الدكتور
أحمد عبد الوهاب الشرقاوي، على جهوده المخلصة وتعاونه البناء في إخراج هذه
الكتاب، ومراجعته، وإعداده للطباعة.

محمد حرب

مستشار جامعة صباح الدين زعيم

استانبول

21/6/2016م

اللوحة الأولى من المخطوط



سرلقة داستان جهانستان محمد و سپارچاوند زمین و زمان
اولی سزاد که نصرت کریم انجند نامها الصابون مصروفی الیه
عسکر اسلای نماید و نظم میں سلفی فی قلب الدین کفر و الرغب
و غیری الیه دشمن دین خویشی تأیید الیوب اذا لقیتم فقه فاشیوا
بوره فقه فقه و ظفری صبر و شیا نه منوط قلدی
و درود خسته و درود صلاوة و سلام سیدانام محمد مصطفی
صلی الله علیه و سلم اکا اذاعا و تقی و واد که سفیع علیکم الانصار
کلام در بار بی الیه اتمه مبارک بی نبشیز یوزدی و آل و اصحاب
کرامه ترضیه و تسلیم حمور تحفه انانم لی یوزر القیام و بعد
چون تاریخ نهج نبویه بک الی بنی سالد ایرب کلام بجز
انار نبویه خاصیک و لان فوجات اسلامیه دن کرید
فقی ظهور الیدی و اون سنه قدر زمانه جزیره و مزبوره
پای تخی و لان قاندا حصارند غیری سائر قلاع و مباحی
یکان یکان دست تصرفی اسلامیا کرید باعث مذکور حبسی الیه
بر و تحفه نهج حوادث وجود کلاب بعض مرتبه استیاد حضور
وند برده فور در داده کفار خاکسار که شتر نه باعث اولوب
غلبه صورتی کورست که غرت دین حضرت مسلمین افقنا ایدوب
بوا و اقله سقوی خارج خلیفه سخیل شعل منبیت نک

لا الخيال عندك فتهن بها ولا ماله فليسعد النطق ان لم يتحد الخيال
بيني فخرنا فيه باد شاهان سلف و يابدين ملاعين اياه بغير سولين
و نيزودن قهر و نصير اندكوايت و برار قيود اند و قورصا نك
دنيا جاكلر في و بعض امور دين و كاردان عقلا نك راك
و ند بيري و دوتما و سفر احوالنه متعلق بعض مهتاقي قلبه
كتر كلكه دولت عليه يابدين تايد و دشمن دین جعيت نيز و بعد
ايدوب اسمه **تحفة الكبار في أسفار البحار**
و بعد الاقام و في نعم عالم سمي رسول كرم سلطان البرز بالبحرين
خادم الحرمين الشريفين السلطان ابن السلطان سلطان
محمد خان ابن السلطان طبراهيم خان خلد الله ملكه
و ايد سلطنته الى انتهاه الزمان حضور نيك و كلابها اولن
تقديم الیدی امید د که مفهومه نظر الیه انتشاء انتشاء
بيوره لری پس بو تحفه بر مقدمه و اکي قسم و خاقه اوزره دد
مقدمه
بیا بی صددند اولدوغز امور توقفت نیکي تعیین امکنه
و نصهر بر سنورده دد **تمهید** خفی اولیه که مینر کارگاه
دولت اولنلر علی لازم اولان امور دن بری فی خیر افیاد
جمله کره ارض احوالنه و خوف میسر اولر نه باری مالک محرمه
صورتی مسجد لری الیه و سنوری و اطراف سنور و انشی
اولان ملک لرتصویری بلنک کر کدر که بر بره سفر و ارساله اسکر
لازم کلد که اکا کوره تدارک اولنه دشمن و لایتنه کز ملک

الصفحة الأخيرة من المتن

كیده کید شکل اخظروراید. بمقدمه دن صکر ماخن فيه
 كله لم حلاطفیان اعدا و قلة مال و عسکر و خزینہ و رعایا
 امورند اختلال اسباب مباشرتن قصور و اعمالدن لازم کشند
 اسباب یولی ایلہ مباشرت سلفک وضع اندی قانونی لازم جمع
 و آنری ابرو رعایتله اولور ممالک محروسیدی حرب غنیمت
 تدبیر ایلہ فتح و تسخیر ایدن پادشاهلر خصوصاً سلطان سلیم
 و سلطان سلیمان خان زمان دولتلرند علامه روم
 کمال پاشا زاده افندی و ابوالسعود افندی مرحوم ایلہ
 اول قانونلری شرح شریفه تطبیق ده دقت و حضور
 تکمیل بابت پنجه سی و همتلر ایلدیلر و بود و لت علیه اسایی
 اول همتلر بکیتی ایلہ استحکام بولوب اولور اولماز تزلزل ایلہ
 خلل پذیرا و لما مشیدی صکره کلنلر هر کس نه اشلر سه قانون
 اولور صاندیلر جدید قانونلر قوریلوب اسباب یولندن مبا
 اونر دلدی فیمابعد تدارک مافات و دفع خلل که قانون
 قدیمی ممکن اولدیغی مرتبه اجرایه موقوفدر پادشاه عالمپناه
 عمره الله اول قانونلری بلوب سیف شریعت و قانون
 سیاست ایلہ برر برر اجرا ایلک اسباب یولندن مباشرت
 شرطی در الله سبحانه و تعالی میسر ایلنه امین

